خاص . كنت قد كتبت عدة جمل أشرح فيها قضية لانون ، والمحاولة الاسرائيلية لتمزيق العلاقات المصرية — الاميركية ، بمؤامرة تخريب منظمة بدقة وعناية لنسف السفارة الاميركية في القاهرة ، بحيث يبدو الامر وكأنه نشاط مصري تخريبي ، وقد أختصر محرري هذا الشرح الى بضعة أسطر ، ثم شطبه بأكمله ، الى ان أصريت على وجوب تركه بكامله .

وعلى أية حال ، فبعد ان تم التعليم على الكتاب للتنضيد (مع تعليمات الطباع وهلم جرا) استرحت طوال الصيف بانتظار التصحيحات الطباعية ، كنت أعلم ان محرري قد قام شخصيا بزيارة مكاتب الجامعة العربية لاختيار صورة فوتوغرافية مناسبة للغلاف الامامي ولذا ارتحت الى كون الكتاب قد صار اخيرا في طريقه الى النشر . على انه قيل لي لما اتصلت هاتفيا بمحرري في وقت لاحق من الصيف ان الكتاب « سحب موقتا » نزولا عند طلب سيدني برنشتاين (اللورد برنشتاين ، رئيس مجلس ادارة غرانادا) . وقد قال محرري لكل من وكيلي ولي، في مكالمتين هاتفيتين منفصلتين، ان برنشتاين قد طلب ان يقرأ الكتاب مدير النشر العام للمجموعة ، واعتقد ان المخطوطة ذهبت مع هذا السيد في العطلة .

انتظرت حتى اوائل الخريف ، واجريت مكالمة هاتفية اخرى ، وقال لي محرري ان قرارا قد اتخذ بعدم نشر كتابي . وفي ذلك الوقت لم يكن الكتاب قد وصل الى مرحلة تصحيح الطباعة والغلاف فحسب ، بل ان اعلانا كان قد ظهر قبل ذلك ببضعة اسابيع في طبعة الخريف من**ذا بوكسيلر** بتاريخ الثاني عشر من آب (اغسطس) ١٩٧٢ ، يعلن سعر الكتاب وعدد صفحاته وتاريخ الصدور (على انه كانون الثاني — يناير ١٩٧٣) . وجاء في الاعلان : « استقصاء غير متحيز حول واقع الشرق الاوسط ورواية موضوعية تدعو اليها الحاجة الماسة لتاريخ واسباب محنة عرب فلسطين » .

وحتى هذا اليوم لم أتلق أي تفسير لقرار غرانادا غير العذر الواهي بوقوع « تغيير في السياسة التحريرية » . وقد حاولت انا ووكيلي في مكالمات هاتفية عدة مع محرري ومع مدير تحرير المجموعة (وكان مايكل دمبسي آنذاك) ، ان نكتشف السبب الحقيقي لقرارهم . وكان محرري عاقد العزم على عدم التحدث الي على الهاتف الى حد انني اضطررت في النهاية الى ان ارسل برقية له لترتيب وقت ملائم لاستعيد مخطوطتي. وبالطبع انكروا جميعا ان يكون أي دافع سياسي قد اثر في قرارهم بالتخلي عن كتابي .

وسمعت فيما بعد ان موظفي دار النشر تلقوا **اوامر بعدم التكلم الي مهما كان الامر** ، ويفسر هذا محاولاتي غير المثمرة للحصول على تفسير عاقل منهم . كذلك علمت ان برنشتاين طلب سحب الكتاب ، عندما علم لاول مرة بوجوده ، من الاعلان في **ذا بوكسيلر** (١٢ آب — اغسطس) ومما لا ريب فيه ان توقيت المضاعفات المختلفة يؤيد هذا الامر .

أما تيم اوكيف ، رئيس دار النشر مارتن بريان أند اوكيف ، التي نشرت كتابي في نهاية المطاف ، فهو موظف سابق في غرانادا ، وعلى وجه الدقة ، رئيس تحرير سابق لاحد فروع النشر فيها ، وهو يتذكر اجتماعا بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، عندما اثيرت المسألة حول تكليف شخص بوضع كتاب مماثل للكتاب الذي كلفت أنا بتأليفه في نهاية ١٩٧٠ . في ذلك الاجتماع قال برنشتاين لاوكيف انه لن يكرر الاختبار الذي واجهه حينما نشر كتاب ايرسكين تشيلدرز « الطريق الى السويس » في اوائل الستينات ، عندما اضطر الى الدفاع عن الكتاب سياسيا ضد هجوم انتقادي .

استنادا الى هذه الخلفية ، من الصعب علي ان أفهم لماذا كلفت بتأليف كتابي بالدرجة الاولى ، حتى انه أصعب علي ان افهم لماذا استمر حتى الساعة الاخيرة السابقة للنشر ، قبل ان يسمع برنشتاين بوجوده . هذه هي حقيقة حياة مجموعة كبيرة من الشركات العاملة في بنية شبه مستقلة.

المعركة القضائية مع الشركة تستمر حتى هذا التاريخ ، وهي الان في سنتها الثانية . لقد كانت معركة بشعة وكريهة . فمحامو غرانادا يصرون على القول انهم تخلوا عن كتابي بعد مشاورات مع خبراء في الحقل ، وهو قول هراء ، لان كل المشاورات والتعديلات تمت **بعد** اعادة طبع النص على الالة الكاتبة (على نفقتي) واكتمال تصحيحها وتهيئتها للتنضيد ، ومما لا ريب فيه ان كل الحقائق تؤيد اعتقادي بان قرارا متسرعا